المطران عودة: أحزن على من يريدوننا الاقتناع بما لا يقتنعون به ولا أقوى على محبة أي بلد أكثر من لبنان

النهار ٢٠٠٠/١٢/٢٨

اعرب متروبوليت بيروت للروم الارثوذكس المطران الياس عودة عن حزنه على "شعب بلادي وبعض المسؤولين الذين يتكلمون كلاماً لا تقتنع قلوبهم به ويريدون منا ان نقتنع"، ولاحظ "ان الكثيرين يتصرفون بلا اقتناع بما يفعلون، يتكلمون متملقين، وبكلمة اخرى انهم مراؤون".

ترأس عودة قداس عيد الميلاد في كنيسة القديس نيكولاوس في الاشرفية، وحضر حشد من المصلين.

وبعد الانجيل ألقى عظة تحدث فيها عن معنى المناسبة شارحاً قضايا روحية، ثم تطرق الى الشأن العام، قال:

"لقد اتى يسوع ليزيل الانفصام في القلوب والنفوس. معظم الناس نفوسهم مبعثرة، مقسّمة، انفصامية، يتكلمون وقلوبهم بعيدة عما تنطق به افواههم. الانسان بشكل ما مرائي يتكلم بأمور شتى وقلبه متجه الى مكان آخر. اليوم يدعو يسوع كلاً منا الى ان يوحد قلبه ونفسه، ان يصبح متكاملاً، ان يصبح واحداً.

فيما اتأمل في هذا البعد احزن على شعب بلادي وبعض المسؤولين الذين يتكلمون كلاماً لا تقتنع قلوبهم به ويريدون منا ان نقتنع. الكثيرون يتصرفون بلا اقتناع بما يفعلون، يتكلمون متملقين، وبكلمة اخرى إنهم مراؤون. معظم الناس ههنا في بلدي يقولون ويصرحون ويعارضون وقلوبهم في اتجاه آخر معاكس. بلدي يتمزق بسبب الرياء. لو كانت نفوسنا متكاملة واحدة متحدة، لكنا صادقين في كل كلمة نقولها، وكانت كل كلمة تصدر من قلبنا الصافي: "قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله وروحاً مستقيماً جدد في احشائي" (مزمور ١٠:٥٠). الكذب من الشيطان ومن يكذب يلتفت الى الشيطان. كلمة شيطان في اللغة اليونانية تعني من يقسّم الناس ويزرع فيهم الشقاق. اما دعوة يسوع لنا، لكل واحد منا، فإلى ان يظهر وجهه الحقيقي عندما يتكلّم. عندما تكلمني اريد ان اراك، ان ارى قلبك ووجهك الحقيقي لا قناعاً. الله يسألنا ان نكون في وحدة مع نفسنا، في تكامل كلي، حتى اذا ما تكلمنا افصحنا عن افكارنا الحقيقية، واذا ما وُجدنا كان وجودنا ايجابياً، فعّالاً، مثمراً. الله يطلب منا ان نكون صادقين لكن ثمار الصدق في حقولنا قليلة جداً. اذا فتح الله قلوب الناس في بلدي نكتشف اموراً ما كنا نعرفها، لكننا كنا نظنها.

لقد اتى الله الينا ليعيد الانسان الى انسانيته، والانسان حيوان ان لم يكن على علاقة بالله. الانسان شرس ان لم يكن الله في قلبه. الانسان قتّال ان لم يعرف حنان الله ومغفرته.

قصد الخلق واكليله هو الانسان الذي خُلق على صورة الله. غاية التجسد ان يعاد الانسان الي انسانية متألهة، الى انسانية واسعة لا فجوة فيها، ارضيتها المحبة الكاملة والشاملة. لقد اتت المحبة الينا لكي نكون بابن المحبة وارثين لله. نحن نرث المحبة الالهية في المسيح يسوع. الانسان المتألّه، الانسان الآدمي حقاً، آدم الاصلي يشبه الإله، اما الانسان المتعجرف المتكبّر المحب لذاته فهو صنم صغير يزول، من التراب هو والى التراب يعود. قلبه لا يسكن قلب الله. والله اتى الينا ليسكننا، ليقطن قلوبنا، لذلك الانسان الجديد هو مسكن الله. كيف ذلك؟ بالمسيح، لأن المسيح هو صورة الله الحقيقية وبموته امات الخطيئة بأتعابها وادرانها وغاياتها.

الانسان غاية الخلق والتجسد، لذا لا نستطيع ان نهمله او ان نتكلم كلاماً سطحياً عليه. كل انسان مهم كحدقة العين في عيني الوالد والوالدة. كل انسان عزيز في عيني الرب. فمن انت ايها الانسان لتقول ان هذا الانسان المفقود او ذاك غير مهم ولا

ضرورة للبحث عنه. من انت ايها الترابي لتقول هذا القول؟ هل اصبحت الهاً؟ ولو كان هذا المفقود ابنك الا تفتش الارض من اقصاها الى اقصاها عنه؟ الا تستعمل سطوتك على كل انسان لتحصل على معلومات عن ابنك او على رفاته؟ كل انسان مخفي او حاضر مهم جداً في عيني الله وعيني اهله، وواجبنا ان نعامله على هذا الاساس.

جميل ان نتكلم على الوحدة الوطنية وهذا ما نحتاج اليه لكننا لا نستطيع ان نتكلم على الوحدة الوطنية وندافع عنها ونحمل سيفها فيما نرسل جماعات تسيء الى هذه الوحدة وتعرقل مسيرتها. الجماعات المشاغبة لا تعمل من ذاتها، اما الاشباح التي يتكلمون عليها فأنا لا اؤمن بها. انا اؤمن بالانسان المسؤول عن صلاحه وعن شرّه. وما يحيّرني ان الجميع يبشر بالصلاح والفضائل والمحبة ووحدة الناس في هذا البلد فيما ما يُسمّون اشباحاً يبثون جماعاتهم تحت ستر الليل وفي وضح النهار. كلنا، كل لبناني يريد وحدة لبنان فلا يزايدن انسان على آخر. المجرم يُعرف والكاذب يُعرف. "من ثمارهم تعرفونهم" (متى ١٦:٧).

اما عن الاعدام فقد سمعت رئيس احدى الدول الكبرى يتكلم على الاعدام وضرورته، والامر مطروح عندنا. اسألكم بربكم لو كان من سيُنفذ به حكم الاعدام ابنكم هل تتمنون اعدامه؟ اجيبوا بصدق. لا احد منا بلا خطيئة لكن هل هذا يبرر الاعدام؟ ولمن يقولون ان الاعدام يردع المجرم اقول لو كان الامر كذلك لكنا اصبحنا في الجنة بسبب كثرة الاعدامات التي نشهدها. انا اؤمن ان الاعدام قتل. هذا رأيي ولي الحق في التعبير عنه. هل انت من اعطى المحكوم عليه الحياة لتأخذها منه؟ ومن قال لك انه لن يتوب ويعود الى ربه؟ ثم الا تعلمون ان من يفقد ابناً او عزيزاً او حبيباً يتألم كثيراً؟ فهل يتمنى هؤلاء ان يتألم غيرهم كما يتألمون؟ اي ام تتمنى لأم اخرى ان تتألم مثلها؟ ام اننا نريد تغذية الحقد بين البشر؟ هذا ليس من المسيحية التي قال سيدها "اغفر لهم يا ابتاه لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو ٣٤:٢٣).

نحن ككنيسة نتمنى ابدال الاعدام بالسجن ولو مؤبدا على ان يزار المسجون ويهتم به ويعاد الى التوبة. يقال ان امرين ضروريان في السجن اولهما الا يعطى المسجون اي وسيلة او مجال ليقتل نفسه والثاني الا يهرب. هذا يعني ان السجين يتألم في سجنه ويتمنى الموت والاعدام. لكننا نرفض الاعدام رحمة به وبمن يتألم معه.

"ابننا الياس"

البعض يقول ان لا مشكلة لديه مع الاعدام. هذا القول مرفوض في بلد كلبنان وليسمح لنا بالتساؤل لو كان المحكوم عليه ابن احد الزعماء هل ينفذ فيه حكم الاعدام؟ الا يجدون له الف طريقة وطريقة لاخراجه من البلد؟ ثم الم تدلنا نتائج الحرب التي مررنا بها على من حرر ومن سجن ومن نفي؟ وان من له مكانة معينة او سطوة مستمدة من الداخل او من الخارج في امكانه القيام بما يريد من اعمال مقبولة او غير مقبولة من دون ادنى خشية. وكلنا شاهدنا وشهدنا مآثر هؤلاء، ولم تكن تمارس الاحكام الا على الفقراء والضعفاء. لذلك انا اصلي لابننا الياس (الوزير الياس المر) لكي يستمر في ما يقوم به من تصرفات مباركة وقد رأينا كيف ادخل البعد الانساني، الحضاري في ممارسته.

امرّ آخر اود اللفت اليه: نسمع احيانا اصوات بعض الغيارى على لبنان الذين يدافعون عن لبنان من دون المس ببلدان اخرى، ونسمع ردودا عليهم من بشر لا نعرف اذا كانوا يؤمنون حقا بالله او بوطنهم. لهؤلاء نقول الا يحق للانسان ان يغار على بيته وعائلته؟ وهل في امكانك ان تحب اخاك وعائلته اكثر من نفسك وعائلتك؟ انا لا اقوى على محبة اي بلد اكثر من لبنان ولا يجوز ذلك والا فلأترك البلد او بالاحرى فلأقلَع منه. وعندما يعبّر اي انسان عن محبته لبلده وعن غيرته على وطنه يجب الا نتساءل من يتكلم بل علينا سماع ما يقول وان كان كلامه صحيحا فلنقل انه صحيح وان كان خاطئا فلننبه الى الخطأ واذا تصرفنا عكس ذلك نكون مرائين، الا اذا كانت الشفاه تنطق بما لا يضمره القلب.

كذلك طالعنا بعض من يدعون الاخلاص للمبادئ والعقائد ان على رجال الدين التوقف عن الكلام وشق الصفوف. من انت لتمنع عني مواطنيتي ولتدينني وترميني بالتهم وانا لم اسمعك يوما تنطق باسم لبنان كما تتغنى بأسماء اخرى. فكيف تسمح لنفسك باتهامي بلبنانيتي والمزايدة علي؟ انا سأمارس حقي في ابداء الرأي لأنني اخص الله وجوهر رسالتي الحض على الخير والصلاح وانتقاد الشر والخطأ. انا وعاء خزفي لكن الله رضي ان يضع كنزه فيّ، وانا والكنيسة وكل كنيسة وكل انسان يحب الله، اذا لم تكن لدينا روح نبوية نكون مزيفين، مساومين ومرائين. صوت الكنيسة نبوي وعندما يتكلم بطريرك او مطران او كاهن او علماني او اي انسان يحب الله يجب ان نسمع ما يقول. ولمن ينتقد الطريقة او التوقيت اقول ليس احد كاملا لكن علي ان اصغي عندما تتكلم الكنيسة وتنطق بكلمة الحق (...).

دعائي ان يصبح هذا البلد بلد انبياء لأن من يتنبأ يكلم الناس بكلام يبني ويشجع ويعزي (١كور١٤:٣). طوبى لجميع الذين يتكلمون كلام الحق في هذا البلد المحبوب. طوبى لجميع الذين يرمون بالحجارة والكلام الباطل بسبب مواقفهم المحقة، طوبى لجميع الذين يحبون بعد الله، وبمحبة الله، اخاهم الانسان، ويحبون لبنان، ومن محبتهم للبنان وامانتهم له نعرف مدى امانتهم لمن هم خارج لبنان. ان كنت لست امينا في بيتك فأنت سارق في بيتك وخارج بيتك.

جعل الله من سكان لبنان بشرا يقفون مع الحق ولا يخافون، يتكلمون بالحق كالإله الذي انسكب فيهم ولا يخافون.

جعل الله من لبنان حديقة تصبح جنة بأخلاق الله وحياة الله وسيرة الله في ابنائه. لبنان لا تذرف عليه دموع الا اذا كان يسكنه بشر معظمهم يحبون التملق والكذب والرياء. في الصدق وحدة نجاة لبنان. امين".

وتلقى المطران عودة اتصالات لتهنئته بعيدي الميلاد ورأس السنة ابرزها من رئيس الجمهورية اميل لحود ورئيس مجلس النواب نبيه بري والرؤساء الياس الهراوي وحسين الحسيني وسليم الحص ونائب رئيس الحكومة عصام فارس. وزاره عدد كبير من المهنئين.